(الأهواز الحرة (2

غربة الوطن ... وظلم التاريخ

بعد ملايين القتلى والجرحى والمشوهين والمغيبين انتهت الحرب العراقية/ الايرانية صيف عام 1988 بصورة مفاجئة كما بدأت وبصيغة لا غالب ولا مغلوب من الناحية الواقعية, رغم ان النظام العراقي البائد اعتبر نفسه الطرف المنتصر لانه استطاع انقاذ رأسه من تلك الحرب المجنونة التي وضعت الاساس التكويني لتدمير العراق مستقبلا!.

وقتئذ, اختلطت كل الاوراق والملفات, وتمت العودة الخجولة للاتفاقات الدولية السابقة ومنها (اتفاق الجزائر) الحدودي الذي مزقه صدام ثم اضطر للعودة اليه!! في عبث سياسي غير مسؤول لم يحاسبه احد عليه? وعانى الشعب العربي الاهوازي بعدها مرارات العودة لبناء الوضع الذاتي ولمحاولة العودة للقرى والمدن والديار المخربة من دون جدوى ? فقد استثمرت السلطات الايرانية الفرصة المتاحة لفرض واقع ديموغرافي وسكاني واستيطاني جديد من شأنه دعم مخطط السلطات الايرانية بتغيير وطمس الطابع العربي للاقليم (وهو هدف امني ايراني مقدس), ولكن قبل ذلك فقد فضحت السياسات البعثية التدليسية نفسها من خلال فصول الحرب الدموية المرعبة, فنيران قوات صدام لم تكن تنزل بردا وسلاما على رؤوس العرب في الاهواز بل كانت نيرانا عمياء وحاقدة اضافت لمآسي الشعب الاهوازي معاناة مضاعفة, ولم ينجح اعلام لطيف نصيف جاسم البدائي في تحسين وتجميل الصورة البشعة للفعل الصدامي الاخرق, وبدلا من ان يكون الاهوازيون هدفا انسانيا وقوميا للتحرير فان الديماغوجية السياسية للنظام العراقي قد جعلت الشعب الاهوازي لقمة سائغة, وطعاما يوميا لتلك الحرب المجنونة والتي استبيحت في ايامها الاولى مدينة المحمرة خرمشهر), وشهدت شوارع البصرة العراقية مناظر مخزية لممتلكات الاهوازيين) المسلوبة والمسروقة وهي تباع في اسواقها وعلى ارصفة شوارعها, وفي تصرفات بعيدة كل البعد عن السلوكيات القويمة ! والى الدرجة التي لم تسلم معها حتى الملابس الداخلية المسروقة من البيع? وهي تصرفات مخجلة ستتكرر للاسف بعد عقد من السنين مع الاشقاء في الكويت, وهو امر يؤكد على لصوصية العقلية البعثية الفاشية , كما تشرد الاهوازيون في بقية المدن الايرانية البعيدة عن نيران (التحرير القومي), كما نقلت السلطة العراقية البائدة اعدادا من الاهوازيين الى جنوب العراق واسكنتهم هناك حيث اجبرتهم على الاستيطان, وشمل التدمير بقية مدن الاقليم كالمحمرة و عبادان والبسيتين والخفاجية ودسبول وغيرها, وكانت صدمة الشعب الاهوازي قوية اذ تصوروا وبمشاعرهم القومية النقية من ان (فارس بغداد) الذي كان اعلامه الكاذب يبشرهم بفاتح عربي جليل سياخذ بايديهم نحو تحرير اقليمهم المغتصب !, ليفاجئوا بالحقيقة المرة التي تقول : (ان صدام كان مجرد قاطع طريق, وبانهم وقضيتهم العادلة ليسوا سوى ادوات استعملها في تبرير الغزو والعدوان وتصفية الحسابات مع الايرانيين)!!.

واذا كان النظام العراقي البائد او اي جهة اخرى قد استغلت قضية الشعب الاهوازي لمارب وخطط خاصة, فان الخلل اساسا كان يكمن في طبيعة تعامل سلطات الاحتلال الايراني عبر العصور والحقب السياسية المختلفة من (شاهانية) الى (اسلامية) مع المطالب العادلة والانسانية لشعب الاهواز, والذي تصر العقلية الفارسية الحاكمة حتى اللحظة من انه (ليس شعبا عربيا)! بل ناطق بالعربية!! في فذلكة مضحكة واصرار عجيب على محاربة المنطق السليم وحقائق التاريخ, وشهادة الجغرافيا, وقد عبر الشعب الاهوازي غير ذات مرة وفي اكثر من مناسبة عن تطلعاته ومطالباته بطريقة سلمية وحضارية, فلم يجابه سوى بالحديد والنار, وكانت قمة القمع قد تلازمت مع قمة المد الثوري) في ايران اواخر عام 1979 على يد الجنرال الايراني السابق والهارب) حاليا احمد مدني, وفي مراحل سابقة لم تتوان السلطات الايرانية في اخراج الطائرات للتصدي لاهل الاهواز في احتجاجاتهم السلمية, وفي قمع حقهم المكفول دستوريا

ودينيا وانسانيا وفي التعبير عن الرأي.. ولكن لا فائدة فاساليب السلطات الايرانية لم تزل هي كما كانت في الماضي المعاداة التامة للعنصر العربي والثقافة العربية ومحاولة فرض سياسة (التفريس) الشاهانية بالقوة ضاربة عرض الحائط بكل الشعارات الدينية المعلنة. وتلك هي الحقيقة للاسف.

وثمة مغالطات فظيعة يحاول اعداء الشعب العربي الاهوازي اشاعتها بين العالمين, وخصوصا ذلك الافتراء الفج الذي يصور نضال وجهاد وكفاح الشعب الاهوازي بكونه مجرد (واجهة استخبارية) لنظام البعث العراقي البائد, وفي ذلك التجني الكبير ظلم رهيب لدماء وتضحيات الشعب الاهوازي الذي حمل راية المقاومة, وقاوم الانصهار والتطهير العرقي منذ سنوات الاحتلال العسكري الايراني الاولى عام 1925, ومراجعة تاريخ الثورات والانتفاضات الشعبية في الاهواز يثبت بطلان ذلك الرأي المشبوه, ونظام البعث العراقي قد تلاشى اليوم وما زال كفاح الشعب الاهوازي قائما ويبشر بالتصعيد والتواصل, لقد ساهم الاهوازيون في نضال الشعوب الايرانية لاسقاط عرش الطاووس البهلوي المتغطرس, ولكن رياح الثورة وتياراتها المتلاطمة وتعصب وضيق افق بعض قياداتها قد ادت لتشويه الصورة العامة لجهاد الشعب الاهوازي, وتصويره على كونه مجرد حركة تمرد اميركية مدعومة من المخابرات العراقية وهو ادعاء كاذب ولا يعبر عن الحقيقة الميدانية القائلة من ان هنالك شعبا عربيا مستلبا يتعرض على مدى عقود زمنية طويلة لسياسة افقار وتجهيل وسرقة ونهب منذ ثمانين عاما بالضبط, انه شعب عربي اصيل تعرض للتشويه, ونزع الهوية, ومسح الشخصية, المقترن بنهب اقتصادي منظم ومبرمج وفق تكتيك هدفه دفع المواطن العربي الاهوازي للهجرة والعمل في دول الخليج العربي كحمالين او غسالي سيارات او عمال وكادحين بسطاء فهل من العدالة الاسلامية في شيء ان يعمل الاهوازي كذلك فيما ارضه تعوم على ثروة بترولية لا تقل عن جيرانه الخليجيين ? وهل من الاسلام في شيء ان يحرم الشعب الاهوازي من حقه الطبيعي في التمتع بمصادر ثروته وتنمية اقليمه على اساسها على الاقل ? لماذا كل هذا القمع والنهب والاحتقار للشعب الاهوازي ان فكر بصوت عال طلبا للعدالة والحرية والسلام ?.

ان العداء للسان العربي والثقافة العربية في بلد يحكم تحت يافطة الاسلام, وتهيمن في شوارعه شعارات الحرية ونصرة المستضعفين!! هي من الامور الغريبة والمتناقضة في الفكر والسلوك السياسي السائدين في الساحة الايرانية المليئة بكل ما هو عجيب وغريب !, فمشاعر وشعارات التضامن المرفوعة في شوارع طهران ينبغي ان تطبق داخليا اولا قبل كل شيء ? فليس بالشعارات وحدها تحكم الشعوب والتجربة تقول ان الشعارات وحدها هي المتوفرة في المتاجر الثورية وكما يقول الامام علي كرم الله وجهه: ما اكثر العبر و اقل الاعتبار.

فهل من المبادىء الاسلامية في شيء ان تستمر عملية (تفريس) الشعب الاهوازي ونفي الصفة العربية عنه كما اكدت ذلك قبل شهور وثيقة (ابطحي) المعروفة, وان تستمر احوال الجهل والامية بدواعي الحفاظ على امن وسيادة (الثورة الاسلامية)!? ليس هذا فقط بل الاصرار على استمرار التوتر في الخليج العربي عبر التصعيد مع دولة الامارات في قضية الجزر الاماراتية الثلاث المغتصبة والمحتلة في الخليج منذ عام 1971, اضافة الى ما يحصل اليوم في العراق المنهك من هجمة استخبارية ايرانية شرسة تستهدف عروبة وحرية ووحدة العراق.

ان العذاب الاهوازي يصح تسميته بـ— (العذاب المزدوج), اذ ان التهم الرسمية الايرانية ضد حرية هذا الشعب تطول وتتشعب لتشوه كل قيمه ومعانيه, كما ان الشعب الاهوازي يخوض كفاحه وحيدا من دون ناصر ولا معين في ظل ظروف سياسية واقتصادية وستراتيجية غاية في الدقة والتعقيد والتداخل, والايرانيون يعتبرون كفاح الشعب الاهوازي لنيل حقوقه المشروعة بانه مجرد (مؤامرة امبريالية) متناسين في دلالات خطيرة ان تعزيز وصون الثقافة والحقوق القومية للشعب الاهوازي واحترام حقه في تقرير المصير هو تعزيز للاسلام الحنيف.

وتظل قضية الشعب الاهوازي مطوية في ملفات النسيان والتجاهل والعتمة ما بقي التفاعل قائما بين معادلتي البترول والجغرافيا, وسيظل الاهوازيون يبحثون عن هويتهم الضائعة وحريتهم السليبة وسط عالم لا يعترف إلا بالمصالح, ولا يقيم وزنا للمباديء التي اضحت للاسف بضاعة الضعفاء.. ولكن رغم كل ظروف العتمة

والقهر سينبلج فجر الاهواز الحرة .. فالتاريخ يصنعه الشعوب وليس عمائم الدجل والقهر ... انها رياح الحرية قد باتت اليوم تعصف بكل عقليات التطرف والقمع.

dawoodalbasri@hotmail.com
كاتب عراقي مقيم في النرويج *

داود البصري